الإمام فيصل بن تركي كشف مخططاته منذ البداية

جاءت حملة خورشيد بالمخادعة والإرهاب في عصر الدولة السعودية الثانية

مـن يتعمق في قراءة الأحداث والأوضـاع التي أحاطت بالدولة السـعودية الثانية، بعد تتابع وصول الحملات التركية خلال فترة الإمام فيصل بن تركي (1834-1838) في الفترة الأولى؛ يُدرك تمامًا ما كان يدبر له من قبل الوالي العثماني محمد علي باشـا في محاولة سـعيه الجاد لإسـقاطه بشتى الطرق، وقد واجهها الإمام فيصل أيضاً بشـتى شـبل المدافعة من أجل التصدي والمقاومة بكل ما أوتي من قوة وصبر على المسـتوى السياسـي والعسـكري، وذلك من أجل الحفاظ على مركز دولته وسيادتها.

نجـح الإمام فيصل بن تركي في مواجهة حملة إسـماعيل أغا وخالد بن سـعود في أكثر من موقع، بل تمكّن من محاصرة الحملة العثمانية في الرياض وضيّق عليها كثيرًا وهاجم أسوار الرياض للقضاء على الحملة ومن معها بكل قـواه، إلا أنه في اللحظات الأخيرة من الهجوم وصلت تعزيـزات ضخمة قلبت موازين القوى لصالح المُحَاصَرين، فلم يكن بوسـع الإمام فيصل سـوى فك الحصـار والتموضع بقواته في منفوحة قرب الرياض، في محاولة منـه لعقد مفاوضات للصلح بينه وبين الحملة وقادتها، وقد رأى الإمام فيصل أنه يجب عليهم الانسحاب بقواتهم خارج نجد؛ لأن أهلها لا يرضون بحكم الترك، وتحت إصرار كلا الطرفين على التمسـك برأيه فشلت تلك المحاولة.

وأمـام تلك المقاومـة التي أبداها الإمام فيصل بن تركي، قرر محمد علي باشا إرسـال المزيد مـن التعزيزات العسـكرية لدعم موقفه في نجد، فأرسـل أمهر قادته العسـكريين "خورشـيد باشـا"، بحملـة عسكرية كبيرة مُتَّخِذًا العديد من الأساليب والإجـراءات لتحقيـق أهدافـه الحقيقية، ومنها:

> الحملات العسكرية المتتالية أكدت رغبة الوالي العثماني محمد علي في إسقاط الدولة السعودية الثانية

أولًا: أسلوب المخادعة واللسان المعسول وتقديم الهدايا وتبادلها مع الإمام فيصل بن تركي، فكان أول ما قام به خورشيد أن أرسل إلى الإمام فيصل هدية آذنًا له أن يأخذ ما أراده من ممتلكاته في الرياض، واعدًا إيّاه -كما يذكر المؤرخ السـعودي عثمان بن بشـر- بقوله: "التقرير في ملكه، ولا عليه منازع"، وهو مـا أكده عبد الفتاح أبو عليّة في كتابه تاريخ الدولة السـعودية الثانية بقوله: "وهنا لجأ خورشيد إلى الملاينة في البداية قبل اتخاذ أي إجراء عسكري ضد فيصل..". ولعل الهدف من ذلك -كما يذكر المؤرخ السـعودي عبد الله العثيمين-: "ومن الواضح أن هدف خورشيد من ذلك العرض كسب الوقت لكي يصل إلى العارض قبل أن ينال فيصل من خالد ما ينال"، ونرى أن مثل ذلك الأسلوب يمكن اعتباره محاولة من خورشـيد لكسر الشموخ السعودي وتثبيطه في مواجهة الوجود الأجنبي المتمثل في الحملات التركية.

ثانيًا: التهديد بالحرب والمواجهة العسـكرية واستخدام القوة إذا لم يستجب الإمام فيصل بن تركي للسـلم وإنهاء المقاومة السـعودية، وقد لوحظ ذلك منذ انطلاقة حملة خورشـيد الذي اتخذ إجراءات عسـكرية جديدة، وهو في الحناكية إذ قام بتنظيم قواته وإعادة ترتيبها، وأرسل قوة عسكرية حديثة بقيادة مُلّا سـليمان الكردي لتحل محل قوات إسماعيل أغا في الرياض.

ثالثًا: اسـتفاد من تغيُّر سير الأحداث في شمال نجد مما كان يصب في مصلحته، وشكّل ذلك دعمًا مباشـرًا له، إضافة إلى اسـتمالته وإخضاعه لبعض الرؤساء من خلال فرض القوة والتهديد من جهة، واللين والهدايا والعطايا من جهة أخرى، وهو أسـلوب سحب البسـاط بصورة مباشرة لصالح خورشيد وكسب ولاءات مؤيدة للحملة العسكرية وداعمة لها.

رابعًا: بعد وصول الحملة العسـكرية إلى إقليم نجد، جعل من بلدة الرس في القصيم، قاعدة للانطلاق للسيطرة على بقية الإقليم، ولذا أفرط في استخدام القوة العسكرية بصورة تعسفية فهدم الأسـوار والأبراج وحاميات بعض البلدان النجدية، ولا يخفى أن هذا نوع من الضغط على الأهالي حتى يركنوا إلى التبعية والولاء لخورشيد، وينقَضُّوا عن الإمام فيصل بن تركي.

خامسًا: اتخذ خورشيد كل الوسائل والمُسَوِّغات من أجل تحقيق هدفه، بل أخذ ينتحل الأسباب التـي يتعلل بها لهجومه علـى الإمام فيصل بن تركي، كمـا يذكر المؤرخ المصـري عبد الرحيم عبد الرحمن: "وعلى أثر انتحال هذه الأسـباب، زحف بقواته صوب "الدلم" في آخر رجب 1254هـ/19 اكتوبر 1838م".

> كان يهدف إلى مد نفوذه إلى مناطق الدولة السعودية على الخليج العربي

حقًّا، فقد كان من شأن تلك الإجراءات والخطوات التي قام بها خورشيد باشا، أن تَكَفُّل له إحكام قبضته على إقليم نجـد وتوطيد أركـان قوته بشكل فاعل، وذلك من شـأنه أن يدفعه إلى المضـي قُدُما لهدفه، ومن ثـم إنهاء قوة الدولة السـعودية الثانيـة وإمامها فيصل بن تركي، وتحقيـق السـيطرة علـى باقي أملاك الدولة بما فيها بلـدان الخليج العربي التي كـان يتبـع أكثرها للدولة السـعودية الثانية، وبذا أصبحت خاضعة لحكمة بالتبعية.

المراجع:

عبدالفتاح أبو علية، تاريخ الدولة السعودية الثانية (الرياض: دار المريخ، 1991).

عبدالرحيم عبد الرحمن، محمد علي وشـبه الجزيرة العربيـة، ط2 (القاهرة: دار الكتاب العربي، 1986).

عبدالله العثيمين، تاريخ المملكة العربية السـعودية (الرياض: مكتبة العبيكان، 1997).

عثمان بن بشـر، عنوان المجد في تاريخ نجد، تحقيق: عبدالرحمن آل الشيخ، ط3 (الرياض: وزارة المعارف، 1974).

محمد العبد القادر، تحفة المسـتفيد بتاريخ الأحسـاء في القديم والجديد، ط2 (الرياض: مكتبة المعارف، 1982).

محمد عرابي نخلة، تاريخ الأحساء السياسي 1818-1913م (الكويت: منشورات ذات السلاسل ، 1980).

محمـد الفاخري، تاريخ الفاخري، تحقيق: عبد الله بن يوسـف الشـبل (الرياض: مكتبة العبيكان، 1999).